صبر جميل

بارت تجارة الاجراء فلم يجدوا طريقاً تنفق به سلعتهم الا السعاية من جهة والحط على الامراء الصادقين في الخدمة من جهة اخرى ولما لم يفدهم ذلك ارجفوا بان محرر الاستاذ سيبعد عن مصر اقصاداً لهم المشتركين وسداً لباب تحصيل قيم الاشتراك فنحن ننادي في مشارق الارض ومغاربها اننا من رجال الهيئة الوطنية المشمولين برعاية الحضرة الخديوية وحياطة الحكومة المصرية لا ننطق بكلمة ولا نتحرك حركة الا وهي اعلم بها وكذلك رجال بريطانيا العظمى يعلمون من حركاتنا وسكناتنا ما هو مقرر بالتقارير المتتالية ممن لا نخطو خطوة الا وهم على اثرنا ولم نزد في جريدتنا على النصح وتقبيح القبيح وتحسين الحسن وهو الذي تريد انكلترة ان تهدينا اليه ولا ينكر احد ان حرية المطبوعات انتهت في مصر الى ان يطعن الاجراء في المصريين طعناً شخصياً ويقبحوا اعمال من يرون صرف الافكار عنه لا يبالون في اي عظيم كتبوا ولا بأية عبارة نطقوا ولا يليق بدولة عظيمة كدولة بريطانيا ان تحجر على زيد ما اباحته لعمر او ان تبعد سيبويه لتنفق بضاعة نفطويه وعلى كل فان ما ارجف به المرجفون من ابعادنا عن اوطاننا محض افتراء وكذب لا يكون في حكومة نظامية مقيدة بمجالس قانونية لا تستبد عليها بفعل من الافعال واذا دار انسان على دوائر حكومتنا السنية وسأل عن هذه الاشاعة فانه لا يجد لها اثراً ولا خبراً عند اصاغر الخدمة فضلاً عن الامراء الفخام وهناك يعلم ان المرجف بهذه هو المرجف باغلاق الاستاذ اولاً ونفى صاحبه ثانياً على السنة امثاله في الارياف والمدن

وكلما زادونا ارجافاً وسعاية زدناهم اعراضاً واهداراً ووقفنا امامهم وقوف الجبل في مهب الرياح ولنا في مثل هذا المقام قصيدة قلناها في الاختفاء وقد احاطت بنـا الجواسيس وتواترت اخبار الاراجيف ففترت هم الاخوان وداخلهم الخوف والرعب وثبتنا امام تلك المزعجات واخذنا ننشدها محاربة للنوائب واظهاراً لما في الطوية من الصبر والثبات واذا كان لساننا ذلك في حالة الشدة افيرى المرجف انه يحرك منا ساكناً بارجافه في وقت الرخاء ونحن بين يدي امير حكيم خبير باحوال رعيته ووزير خطير هو ادق الناس في اختبار الناس ومعرفة ما هم عليه ولنورد بعض القصيدة هنا ترويحاً للنفس وتذكيراً بايام التجلد للمحن والنوائب وقد انشدناها توسلاً بالجد الاعظم صلى الله عليه وسلم وهي

اتحسبنا اذا قلنا بُلينا ... بَلينا او يروم القلب لينا
نعم للمجد نقتحم الدواهي ... فيحسب خامل أنا دهينا
تناوشنا فنقهرها خطوب ... ترى ليث العرين لها قرينا
سواءٌ حربها والسلم انا ... اناس قبل هدنتها هدينا
سررنا بالصِلى والبشر بادٍ ... وكِيُّ السرِّ يستدعي الانينا
ومرضعنا تغذينا بصبر ... مريرٍ حين مازجنا حلينا
فطمنا بالظماء على ثبات ... فصمنا عن شراب الجازعينا
اذا ما الدهر صافانا مرضنا ... فان عدنا الى خطب شفينا
لنا جِلد على جَلَد يقينا ... فان زاد البلا زدنا يقينا
ألفنا كلّ مكروه تفدّى ... له فرسانه بالرّاجلينا

فاعيا الخطبَ ما يلقاه منا ولكنا صحاح ما عيينا
صِلينا ياخطوب فقد عُرفنا بانّا الصُلب صُلنا اوصايينا
وقرّي فوق عاتقنا وقولي نزلت اليوم اعلى طور سينا
علينا للعلا دين وضعنا عليه الروح لا الدنيا رهينا
فهل يمسي رهين في سرور وهل تلقى بلا كدر مدينا
اذا ما المجد ناداانا اجبنا فيظهر حين ينظرنا حنينا
يغنينا فيلهينا التغنيّ عن الباكي ويذكينا الحزينا
ولسنا الساخطين اذا رزئنا نعم يلقى القضا قلباً رزينا
فانا في عداد الناس قوم بما يرضى الاله لنا رضينا
اذا طاش الزمان بنا حلمنا ولكنا نُهينا ان نَهينا
فبيت المجد يهدمه التغابى وزند الفضل ينتن ان أُبينا
وانا والورى قسمان لكن اذا ماتوا بنازلة حمينا
وان لاذوا بعترتنا ضعفنا فان رفعوا انوفهم قوينا
وان شئنا نثرنا القول درا وان شئنا نظمناه ثمينا
وان شئنا سلبنا كل لب وان شئنا سحرنا المنشئينا
ومسطرنا يناجي كل حبر بما يهوى ويعلى الكاتبينا
سلوا عنا منابرنا فانا تركنا في منصتها فطينا
لحكمتنا نقول اذا هذرتم الاهبي بصحنك فاصبحينا
ورثناها عن الآبا بحق فان سرنا نورّثها البنينا
بعيد ان يرى حبر غبياً وسيد عترة يلفى هجينا

سرى فينا من الآباء سر يسوق البر نحو المعوزينا
فان عشنا منحنا سائلينا وان متنا نفحنا الزائرينا

ومنها بعد التخلص والمديح

أَ انسى يوم مصر والبلايا تطاردني ولا القى معينا
فكنتَ الغوث في يوم كريه اخاف الشهم والحبر السمينا
مدحنا فيه في اشراق شمس فلما جاءَ مغربه هجينا
وهل انسى هجوم الجند عصرا بلا علم وقد كنا فجينا
احاطوا بي وسدوا كل باب وصرنا بين ايدي الباحثينا
وكان السطح مملوءًا بجند وخلف البيت كم وضعوا كمينا
فادركتَ الوحيد وكان صيدًا قريباً من فخاخ الطالبينا
وارشدت النديم الى مكان رآهُ بعد حيرته مكينا
واعمى الله عنا كل عين وكنا للعساكر ناظرينا
وصرنا فوق سطح فيه علْو يحظم هاويـاً منه متينا
فلم ارهب وثوبي من طِمار ولم انظر شمالاً او يمينا
ويوم الغيط كنت لنا مجيرا بسطوته من البلوى حمينا
فقد كنا بلا ستر يرانا امام العين كل القاصدينا
وكم سرنا بلا خوف جهارا ركبنا الخيل اوجئنا السفينا
وهل انسي تصدّي بعض قوم لان أُمسي بحيهم طعينا
فخلفت العيال وسرت ليلاً ولم احمل حمول الظاعنينا
فكنت الغوث ياجداه دوما وقعنا في المهالك او قُفينا

واني الآن في خطب عظيم ... ارى في طيه داءً دفينا
اتانا مخبر عن قوم سوءٍ ... ارادوا وصفنا للحاكمينا
وخاف الضرُّ احبابي جميعا ... وقالوا بالوشاية قد رمينا
فعجل بالرحيل بلا توانٍ ... ولا تخبر صديقا او خدينا
فادرك يا ابي نجلاً دهاه ... من الاهوال ما يوهي البدينا
فما خفت المنون ولا الاعادي ... نعم خفت انشراح الشامتينا
فسرت الليل يصحبني ثبات ... لحلّ نحو منزله دعينا
ورافقني خليل كان قبلا ... يوافي حين كنا ظاهرينا
وادركنا القطار بغير خوف ... وكنا بالثياب منكّرينا
والقى الله ستر الحفظ فضلا ... فلم ترنا عيون المبلسينا
وكان الحل منتظرا قدومي ... بخيل اوصلتنا سالمينا
ونجّى الله بعد اليأس عبدًا ... يرى الرحمن خير المنقذينا

ومن كانت هذه عقيدته في الشدة وهذا صبره في الخطوب التي كان يجهل عاقبتها لا تؤثر فيه اوهام المرجفين بعد سكناه دار الامن بأمر وعفو الحضرة الخديوية ايدها الله تعالى وادام علينا سوابغ نعمها

الكسوة الشريفة

احتفل ليلة السبت في ديوان محافظة مصر احتفالاً جليلاً دعى اليه العلماء والامراء وارباب الطرق وكثير من الوجهاء والاعيان سرورا بنجاز كسوة مقام سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام وقد بلغت مصارفها ١٧٠٠